ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

Majed Qaid

Lecturer at Abyan University - Yemen and PhD student at Sidi Muhammad bin Abdullah University - Fez – Morocco

Prof. Mohamed Kanouni,

Professor of Higher Education - University of Sidi Mohamed Ben Abdallah - Fez - Morocco

* *Corresponding author: E-mail* : aboskher1982@gmail.com

Keywords:
Symbol
semiotics
poetic text
semantics

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 8 Aug. 2021
Accepted 17 Aug 2021
Available online 25 Mar 2022
E-mail
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i
E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

The Semiotics Symbol in Muhammad Ahmed Mansour's Poetry: Between Artistic Construction and Semantic Intensification

A B S T R A C T

This research studies the use of symbol in Muhammad Ahmed Mansour's poetry. It tackles the semiotic method that contributes to building texts, enriching their meanings, deepening their functions, and forming their poetic images such as mystical, historical, literary and nature symbols. Its texts, deepen their connotations, excite the recipient's enthusiasm, and stimulate reading activities.

© 2022 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.29.1.3.2022.4

سيمياء الرمز في شعر محمد أحمد منصور بين البناء الفني والتكثيف الدلالي

ماجد قائد، مدرس بجامعة أَبْيَن – اليمن، طالب دكتوراه بجامعة سيدي محمد بن عبد الله – فاس– المغرب
أ. د. محمد كنوني /أستاذ التعليم العالي جامعة سيدي محمد بن عبد الله – فاس– المغرب

الخلاصة:

درس هذا البحث توظيف الرمز في تجربة الشاعر محمد أحمد منصور، باعتباره تقنية سيميائية يساهم في إغناء النصوص، وتخصيب معانيها، وتعميق دوالها، وتشكيل صورها الشعرية، وحاول تبيّن دور الرمز في بناء النصوص الشعرية، وإثراء دلالاتها، وإبراز جمالياتها، فتتبع أنواع الرموز التي وظفها الشاعر، كالرمز الديني، والرمز الصوفي، والرمز التاريخي، والرمز الأدبي، والرمز الطبيعي، والرمز الأسطوري، وتوصل البحث إلى أن الشاعر تمكن من شحن لغته الشعرية بمجموعة من الرموز، ووظف أبعادها الإيحائية في التعبير عن تجربته الشعرية والشعورية، وتشكيل نصوصه، وتعميق دلالاتها، وإثارة المتلقي، وتحريك

فعاليات القراءة.

مقدمة

يمثل الرمز عنصرا فاعلا، وتقنية سيميائية تساهم في بناء النص الشعري، ورفده بطاقات فنية، تعمق معانيه، وتثري دلالاته، فقد أولاه الشعراء اهتماما كبيرا؛ لقدرته على احتواء أفكارهم، وترجمة مشاعرهم، والتعبير عن تجاربهم الشعرية، وإغناء نصوصهم، وتحقيق الغايات الجمالية، وتبرز فنية الرمز في النص الشعري بما يحمله من إشارات مشبعة بالمعاني والدلالات والإيحاءات، التي تنقل القارئ من المستويات السطحية إلى المستويات العميقة، وبقدرته على كشف رؤيا الشاعر، وفضح ما يختلج داخله من مشاعر وأحاسيس، وما يضفيه على النص من رونق وجمال.

يعتبر الرمز من أهم البنيات الفنية والظواهر التعبيرية التي وظفها الشاعر محمد أحمد منصور في تشكيل نصوصه، وبناء كونها، وهندسة أبعادها الفنية والدلالية والجمالية، فقد عمل الشاعر على إبراز قدراته الخيالية في توظيف المخزون الرمزي للغة في معان وسياقات جديدة تعبر عن المواقف الشعرية، وتحمل مشاعر الذات الشاعرة، وتنقل صورها للمتلقي، فاللغة الشعرية الرمزية هي ترجمة لمشاعر الذات الشاعرة، وتعبير عن تجربتها الشعرية، وتصوير لمواقفها التي تعجز اللغة البسيطة الإفصاح عنها، وتجسيد صورها ونقلها للمتلقي.

ينطلق البحث من إشكالية مفادها، ما مدى قدرة الرمز وقيمته في بناء النص الشعري عند محمد أحمد منصور وإنتاج معانيه الدلالية والجمالية والإفصاح عن تجربة الشاعر الشعرية والشعورية؟ وللإجابة على هذه الإشكالية اخترنا دراسة ظاهر الرمز في شعر الشاعر، ومعرفة أنواعه، وقد توسلنا بالمنهج السيميائي التأويلي لفك شفرات الرمز، وحل ألغازه، وكشف معانيه العميقة، ومعرفة إسهاماته البنائية الفنية في النصوص.

قسمت الدراسة إلى مقدمة، وخمسة مباحث، تناول المبحث الأول سيمياء الرمز وفعاليته البنائية وقدراته الإيحائية، ودرس المبحث الثاني الرمز الديني والصوفي، وتناول المبحث الثالث الرمز التاريخي، وتطرق المبحث الرابع للرمز الأدبي، وشمل المبحث الخامس الرمز الطبيعي والأسطوري، وختم بخاتمة، لخصت أهم نتائج البحث.

المبحث الأول: سيمياء الرمز، فعاليته البنائية وقدراته الإيحائية

احتل الرمز "بمختلف صوره المجازية والبلاغية مكانة بالغة الأهمية في بنية النص الشعري، بل أصبح معلما بارزا في التشكيل الفني للقصيدة العربية، وغدا مصدرا للارتقاء بشعرية وجمالية التشكيل

الشعري، كما يعتبر أداة من الأدوات الفنية التي يعتمد عليها الشعراء وبخاصة المعاصرين للتعبير عن تجاربهم وغاياتهم ومقاصدهم"١، والشعر كائن لغوي رامز، يتشكل من الرموز اللغوية الدالة ومدلولاتها المتصورة في الذهن والخيال، والرمز الشعري نسق علاماتي، يقوم بتحويل العلامة اللغوية من اللغة العادية إلى لغة الإشارة والترميز والإيحاء والتكثيف.

يعد الرمز من أبرز الظواهر والتقنيات الفنية التي استولت على مساحة كبيرة في القصيدة العربية الحديثة، فهو "آلة أدبية تمكن الأديب أن يتكلم وراء النص"٢، وهو "منهل خصب من مناهل التجربة الشعرية، وأداة للتعبير عن حالات نفسية، وظاهرة فنية تستثمر المنجزات الثقافية الإنسانية، وتركب منها أشكالا رمزية"٣، فالرمز نسق ثقافي يحاول الشاعر من خلاله فهم العالم، وخلق تواصل مع المتلقي، وسَوقه إلى عمليات التأمل والتفكير وإعمال الذهن.

إن الرمز الشعري هو سحر اللغة الذي يوظفه الشاعر لبناء نصه فنيا، وتشكيل رؤيته، وتصوير الواقع، واحتواء عوالمه الداخلية، وتخصيب المعاني، وإثراء الدلالات، وخلق عوالم جمالية.

يتمتع الرمز الشعري بفعالية قادرة على نقل الصور الشعرية، واختزال مواقفها، والإفصاح عن الحالات الشعورية، فـ "ليست اللغة إلا بديلا مقننا للتجربة نفسها، والتواصل اللغوي يفترض عمليتين متقابلتين: أحدهما الترميز، ويسير من الأشياء إلى الكلمات، والثانية فك الرموز، ويسير من الكلمات إلى الأشياء. أي فهم نص من النصوص عبارة عن تبيّن ما يختفي وراء الكلمات"٤. بمعنى آخر، إن الرمز "يستلزم مستويين: مستوى الأشياء الحسية أو الصور الحسية التي تأخذ قالب للرمز، ومستوى الحالات المعنوية المرموز إليها، وحين يندمج المستويان في عملية الإبداع نحصل على الرمز، ولا بد من وجود علاقة بين ذينك المستويين، هذه العلاقة التي تهب الرمز ثوة التمثيل الباطن فيه، ولا يقصد بها التماثل في الملامح الحسية، بل يقصد بها تلك العلاقات الداخلية بين الرمز والمرموز من مثل النظام والانسجام والتناسب"٥.

يرى (بودلير Baudelaire) أن "كل ما في الكون "رمز"، وكل ما يقع في متناول الحواس "رمز"٦، فالشعر عالم الرمز، فبالرمز الشعري تنتقل التجربة من الوعي إلى اللاوعي، ومن الواقع إلى الخيال، ومن المباشر إلى المجاز، فتتوالد الأفكار، وتتناسل الدلالات، وتتساقط المعاني، وتتوافد الصور في الذهن، ويتحرك الشعور، وتتفاعل المشاعر، فالرمز الشعري "بنية يتضام فيها الحسي والتخيلي والاستنباطي"٧، وهو تقنية فنية فعالة ومؤثرة قادرة على التعبير عن النشاط الفكري والتجربة الشعرية والشعورية للشاعر، والكشف عن الحياة والواقع بطريقة غير مباشرة.

نهل الشاعر محمد أحمد منصور رموزه الشعرية من التراث الديني، والموروث التاريخي، ومن منجزات الثقافة الإنسانية، ومن عناصر الحياة والطبيعة الصامتة والصائتة، وسلك في استدعائها وتوظيفها طرقا وأساليب مختلفة، وشكل من فسيفسائها بألوانها المختلفة لوحات فنية، تحمل أبعادا دلالية وجمالية، وتأسر القارئ، وتثير انتباهه، وتحرك خياله.

المبحث الثاني: الرمز الديني والصوفي

الرمز الديني

"إن أهم ما يميز الرموز الدينية بغيرها من العلامات والإشارات الرمزية، أنها تعطي انفعالات عاطفية، وتوقظ الحواس والنفس ومداركها بالنسبة للمؤمن"[٨]، ويتمتع الرمز الديني عن غيره من الرموز بالتصاقه بالعمق الروحي والكيان العاطفي للإنسان، وارتباطه بالعالم العلوي، ويمتلك قوة تأثيره لها حمولاتها الدلالية، وفاعليتها داخل منظومة الفكر في المجتمعات.

وظف الشاعر محمد أحمد منصور كثيرا من الرموز الدينية في قصائده توظيفا فنيا، وهي رموز تتعلق بشخصيات وأماكن وكتب وشعائر دينية مقدسة، ارتبطت بالوجدان الجمعي للمتلقي، وحملت شحنات رمزية، ضخت دماء جديدة في أوردة النص، فتدفقت الدلالات والمعاني، وتواشج الماضي بالحاضر؛ ليكون رؤية كونية عميقة، ويرجع ركون الشاعر للرموز الدينية لإدراكه بقيمها الفنية والجمالية، وما تحمله من كثافة دلالية.

من توظيف الرمز الديني، قول الشاعر في قصيدة (من وحي رمضان):

"محمد" سيد الدنيا وزينتها ... والمجتبى في الورى من سائر الأمم
قد جاء والأرض في ظلم وفي ظُلَم ... والخلق ما بين جبار ومنتقم
حتى طلعت على الأجيال شمس ضحى ... تمحو الدياجي من إشعاعها العمم[٩]

يصور الشاعر شخصية النبي صلى الله عليه وسلم بالمنقذ، فهو رمز الهدى والنور والإشراق والخير والجمال الذي عم الدنيا، ورمز الحرية والعدالة والأمل والسعادة ومصدر الأخلاق والقيم النبيلة، فقد أشرق بنوره على البشرية، وأخرجها من ظلْم الجاهلية وظلَمها إلى نور الإسلام وهدايته وعدله.

استحضر الشاعر رموزا دينية من الشرائع الدينية الأخرى، كشخصية نبي الله سليمان، ونوح، وموسى وعيسى، وغيرهم، وقد حضر رمز موسى وعيسى في أكثر من موقف، وأحيانا يقرنهما بكتابي التوراة والإنجيل، يقول في قصيدة (أحداث الشرق):

برئـــت مـــنهم "الأناجيـــل" و"التـــو راة" والســـيد الكلـــيم الحبيـــب
جـــل "موســـى" معلمـــا ورحيمـــا أيـن مـنهم فـؤاد "عيسـى" الرحيـب ١٠

يستخدم الشاعر الرموز الدينية السابقة (الأناجيل، التوراة، الكليم، موسى، عيسى) لخلق توازن في المواقف، بعد أن طغى المستعمر الصهيوني في الأراضي الفلسطينية، وعاث فسادا، وهذه الأعمال الظالمة تتبرأ منها نصوص وتعاليم الكتب والشرائع السماوية، والأنبياء والرسل، فرمز كتابي (الإنجيل والتوراة) لقوانين العدل والحق، وتعارض جرائم المستعمر معها، واستخدم (الكليم، موسى، عيسى) كرموز للنبوة، للفداء والتضحية، للقيم السامية، لصوت الانقاذ والإنصاف والخلاص والعدالة والرحمة والحب والأخوة والهدى والسلام، فاستحضار الشاعر لهذه الرموز يؤكد تنافي أفعال المستعمر مع هذه القيم، ويجسد موقفه الرافض للاحتلال وأعماله الإجرامية بحق الشعب الفلسطيني.

من الرموز المقدسة التي استحضرها الشاعر ذكر الأماكن المقدسة، كما هو في قوله من قصيدة (من وحي رمضان) التي يمدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم:

وعـــدت تـــدعوه لـــيلا فـــي حـــراء كمـــا ناجـاه موســى بسـفح الطـور مـن قـدم ١١

استعرض الشاعر في البيت السابق رموزا دينية تدل على أماكن مقدسة (حراء، الطور) وتحمل دلالة رمزية عن قداسة المكان، وقيمته، فهو واحة للخلوة مع الله، وعبادته، ومناجاته، والقرب منه، ومعرفة أسراره وجماله، ويعرض الشاعر من خلالها صورا، تجسد خلوة الرسول صلى الله عليه وسلم في غار حراء يتعبد ربه، ومناجاة عيسى في جبل الطور يكلم الله ويناجيه، وتوظيف هذه الرموز في النص يشير إلى السمو الوجداني، والنقاء الروحي عند الأنبياء.

ينقل الشاعر صورا أخرى للرموز المكانية المقدسة، كما هو في قصيدة (الملك الراحل)، وهي قصيدة يرثي بها الملك حسين ملك الأردن، يقول:

صـــلت لأجلـــك يـــا حســـين مســـاجد وكنـــائس وبكـــت عليـــك ســـواء ١٢

يستحضر الشاعر رموزا دينية، (صليت، المساجد، الكنائس)، فقد وظف المكان كرمز ديني لأماكن العبادة المقدسة الإسلامية والنصرانية، وجعلها تندب الملك حسين بالصلاة والبكاء، وهذا الترميز تعبير عن هول الفجيعة، وعظم المصيبة، وتعظيم لمقام الفقيد، فموته وحد الجميع، والكل يتقاسم وجع الحزن والفراق.

ومن ذكر الأماكن المقدسة، التي تحمل أبعادا رمزية دينية، قوله في الكعبة، من قصيدة (قد أقمنا الحوار):

كعبـــــة الله رمـــــز كـــــل اتحـــــاد جمعـــت شـــمل كـــل قـــاص بعيـــد١٣

فالكعبة مكان مقدس رمز به الشاعر للقوة والاتحاد والإخوة والمحبة والتعايش، فهي قبلة المسلمين، ومنحى توجههم في شعائرهم في الصلاة والحج، والمركز الجغرافي الروحي للمسلمين.

ويورد الشاعر رموزا مقدسة تتعلق بالمكان والشعائر والمعاني الدينية، كما هو في قصيدة (خطرات رمضانية)، يقول:

وهـل فـي المسـاجد إن أنيـرت بالـدعاء وبالصـلاة[١٤]

وظف الشاعر في البيت السابق رموزا دينية، فالمسجد رمز مقدس يشير إلى فضاء العبادة الدينية الإسلامية، ومهبط الرحمات، ومؤسسة دينية للتقرب إلى الله، وساحة الطهارة والبناء الروحي، وجامعة للعلم والتدريب على حفظ القرآن والوعظ والإرشاد والقيم الدينية النبيلة، ومدرسة لتجسيد معاني التراحم والخير والتوحد والألفة بين الناس، ومركز للقيادة والسلطة أيام الدعوة، ويرمز بالدعاء للتقرب والتذلل والخضوع لله وطلب الفلاح، والصلاة رمز لشعيرة دينية تواصلية مع الله، وتدل على الصلاح والإيمان، والعدل والمساواة، والطهارة والنقاء، والتلاحم والمؤاخاة، وفعل الخير.

يأتي الشاعر بالرموز المكانية الدينية ليربط الماضي وقوته ومكانة الإسلام فيه، وما يعانيه المجتمع المسلم من ضعف وهوان، يقول في قصيدة (من وحي رمضان):

مـــاذا أقـــول لطـــه حـــين يســـألني يومـا عـن المسـجد الأقصـى عـن الحـرم
وعـــن مآذنـــه الشـــماء كيـــف علـــت بهـــا النـــواقيس تصـــمي كـــل ذي صـــمم
وقبـــة الصـــخرة الكبـــرى وحـــين غـــدت مهجـــورة الـــذكر والآيـــات والحكـــم١٥

(طه) هو الرسول صلى الله عليه وسلم، ورمز به للعدالة والقوة، وماضي الإسلام وعزته، والمسجد الأقصى رمز مكاني ديني، وحرم مقدس، والمآذن رمز للشموخ والاتجاه نحو العالم العلوي، وقبة الصخرة رمز لحادثة الإسراء والمعراج، وامتداد الدعوة الإسلامية بسابقاتها من الشرائع السماوية، وقد استحضر الشاعر هذه الرموز لما تمثله من قيمة في وجدان المسلم، فأشار إلى قضية تدنيس المسجد الأقصى من قبل المحتل الصهيوني الغاصب، واستبدال الأذان بصوت النواقيس، وحرمان المسلمين من إقامة شعائرهم، فيسأل نفسه كيف سيكون جوابه إن سأله النبي صلى الله عليه وسلم عن حال مقدسات الأمة، وقد دنست، وموورست عليها سياسة التهويد والطمس، كما يريد الشاعر تأكيد هوية الأماكن الدينية الإسلامية المقدسة، ويقترب الشاعر من الصور نفسها في قصيدة (يا قادة النصر)، يقول:

فكيف يبكي على المبكى زبورهم	ظلما، ويهجر فرقان وقرآن
مآذن القدس قد غابت أهلتها	وحل فيها نواقيس وصلبان
متى نجلجل بالتكبير معتليا	حتى تدوي أسماع وآذان
مسر البراق قد احتلت مكانته	عصابة كلها شر وخسران
من لي بعيد على الأقصى أشاهده	وقد تحرر أبناء وإخوان١٦

استدعى الشاعر في الأبيات السابقة رموزا من الشريعة والثقافة المسيحية واليهودية، (المبكى، زبور، نواقيس، صلبان)، ورموزا من الثقافية والشريعة الإسلامية (مآذن، القدس، فرقان، قرآن، التكبير، الأقصى)؛ ليعبر عن واقع الصراع الإسلامي اليهودي، وعن قضية القضايا الإسلامية فلسطين والمسجد الأقصى، وعن الشرف المدنس، وعن حال الأمة وجرحها الغائر، وضعفها واستسلامها واستلابها، وضياع مقدساتها، وانتهاك حرَمها، ويروم لبعث الروح الثورية، وإيقاد شعلة الجهاد، وبث الحماس في نفوس المسلمين والعرب، لتحرير مقدساتهم، والدفاع عن قضيتهم.

يوظف الشاعر محمد أحمد منصور مجموعة من الرموز الدينية في قصيدة (صقر قريش) التي مدح بها الملك حسين ملك الأردن، يقول:

مرحبا بالهدى وفي منطق الوحـ	ـي وحامي الشريعة السمحاء
مرحبا بالحسين من بلد الإسـ	ـراء من أرض موطن الأنبياء١٧

حشد الشاعر مجموعة من الرموز الدينية في البيتين السابقين، وربطها بصفات ممدوحه، (الهدى، الوحي، الشريعة السمحاء، الإسراء، موطن الأنبياء)، وتوظيف هذه الرموز الدينية أعلى شأن ممدوحه، ورفع مقامه، فعملت كمولدات لطاقات النص الدلالية والجمالية والموسيقية.

استلهم الشاعر الرموز الدينية من شرائع متعددة، وأتقن اختيار الرموز الدينية المؤثرة في ضمير الأمة ووجدانها، وعبر من خلالها عن رؤيته في الحياة وموقفه، وحاول عن طريقها معالجة الأزمات والمواقف المؤلمة، وتعزيز فكرة تحرير المقدسات، والانتصار لقضية فلسطين، والدعوة إلى منهج الحياة الروحية، وتطهير النفس من أدران الحياة، وإرساء قيم المحبة والتسامح والسلام في المجتمع، كما كشف استحضار الشاعر لشخصيات الأنبياء والرسل عن العلاقة المتشابهة بين تجارب الأنبياء والشعراء، فكل يحمل رسالة في الحياة، ويسعى إلى الخلاص من قيم الظلم والجهل والظلام، وإرساء قيم الحق والعدل والنور والجمال والسلام.

الرمز الصوفي

ندر استخدام الشاعر للرمز الصوفي، فقد وظف بعض الرموز الصوفية ليصور العوالم والكشوفات والرؤى، ويشير إلى عالم المثل العليا المشبع بالسمو والقيم المثلى، نجد ذلك في تصويره لموقف الرسول صلى الله عليه وسلم، ونبي الله موسى، في مناجاتهما لله سبحانه وتعالى، والملاذ إليه سرا، يقول في قصيدة (من وحي رمضان):

وعـدت تـدعوه لـيلا فـي حـراء كمـا ناجـاه موسـى بسـفح الطـور مـن قـدم١٨

يشير رمز (الدعاء والمناجاة) إلى الخلوة مع الله، والارتباط مع العالم العلوي، والهيام في ملكوت الله، والتلذذ بمناجاته، ويستخدم الشاعر بعض الرموز الصوفية، للتعبير عن موقفه من استخدام الدين للتضليل، كما هو في قصيدة (خطرات رمضانية)، يقول:

قلـت الزوايـا قـد شـممت هنـاك رائحـة البخـور
ورأيـت كيـف الأوليـاء مـن خلـف السـتور[١٩]

يشير الشاعر في البيتين السابقين إلى (الزوايا، الأولياء) وهما رمزان صوفيان، يشيران إلى البعد الروحاني والعرفاني في عوالم التصوف، لكنه وظفهما خلاف دلالتها، ليكشف الواقع المغاير، فالزوايا مكان لتجمع الناس والاستمتاع ببخور الروائح الطيبة والانصات لهمس الأولياء المدلسين، والأولياء يمارسون التضليل على الناس من خلف الحجب، فهي رموز تدل على التدين المصطنع، وعلى تزييف وعي الناس وتظليلهم، ويرجع استحضار الشاعر لبعض رموز اللغة الصوفية ليستفيد من طاقاتها الإيحائية، ويضفي على نصوصه لمسة جمالية.

المبحث الثالث: الرمز التاريخي

"يعد التاريخ منبعا ثرا من منابع الإلهام الشعري الذي يعكس الشاعر من خلال الارتداد إليه روح العصر، ويعيد بناء الماضي، وفق رؤية إنسانية معاصرة تكشف عن هموم الإنسان ومعاناته وطموحاته وأحلامه، وهذا يعني أن الماضي يعيش في الحاضر، ويرتبط معه بعلاقة جدلية تعتمد على التأثير والتأثر"[٢٠]، لذا، يندفع الشاعر إلى التغلغل في أعماق التراث والتاريخ الإنساني، يستحضر رموزه التاريخية، ليضفي على تجربته الفاعلية والتأثير، وشمولية الصورة، وعمق الرؤيا، وتغوير المعني، فاستحضار الشاعر للرموز التاريخية يعني أنه "قد وصل تجربته بمعين لا ينضب من القدرة على الإيحاء والتأثير؛ وذلك لأن المعطيات التراثية تكتسب لونا خاصا من القداسة في نفوس الأمة ونوعا من اللصوق بوجدانها، لما للتراث من حضور حي ودائم في وجدان الأمة، والشاعر حين يتوسل إلى الوصول إلى وجدان أمته بطريق توظيفه لبعض مقومات تراثها يكون قد توسل بأقوى الوسائل تأثيرا "[٢١]، ويرجع اختيار

الشاعر لموقف وحدث تاريخي لوجود خيط ناظم بينه وبين الحدث والموقف الذي يعايشه، فيقوم بربط علامات التواصل، وإقامة حوار تفاعلي بينهما.

يقدم الرمز التاريخي بمعطياته المختلفة إضاءات للنص، ويخصب شعريته بدلالات راشحة قادرة على الإيحاء والتمويه، ويساهم في بلورة تصورات الشاعر ومواقفه، ويربط ماضي الأمة بحاضرها، ويساهم في وضع تصورات ورؤى للواقع المعيش.

جاءت قصائد الشاعر محمد أحمد منصور ملغومة بشبكة من الرموز التاريخية، تمددت بين عوالم التراث لتتصل بالواقع المعيش، وتروم نحو المستقبل، حاملة رؤيا شعرية عميقة، وقد حظي الرمز التاريخي بنصيب وافر من عمليات الاستدعاء في قصائد الشاعر، وأستطيع القول إن الشاعر أسرف بتوظيف الرمز بمختلف صوره وشخصياته وأحداثه، وجعله خلفية فنية يجسد فيه تجربته الشعرية، ويقرب صوره المكثفة ومواقفه والمشحونة والمركزة، ويعالج الواقع، ويثير القارئ، ويصبغ النصوص بالجمالية.

تندرج الرموز التاريخية التي استثمرها الشاعر محمد أحمد منصور ضمن شخصيات إيجابية وشخصيات سلبية، ومن الشخصيات الإيجابية أولئك الأبطال والثوار والقادة والأمراء والحكام الذين وضعوا بصماتهم في التاريخ، وحققوا انتصارات، وأرسوا قيم العدل والمحبة والسلام، وهذه الرموز تتوزع بين عصور التاريخ القديم والحديث، وأغلبها شخصيات من التاريخ الإسلامي واليمني، (عمر، بلال، الغافقي، المأمون، مروان، الأمين، الرشيد، سليمان، معتصم، صلاح الدين، المثنى، طارق بن زياد، سعد بن وقاص، خالد بن الوليد، عبد الحميد، يعرب، قحطان، حمير، المظفر، منذر، الرئيس علي عبد الله صالح، جوربتشوف، رمسيس، جمال، خوفو، أبو الهول، كافور)، وسأعرض نماذج منها، لتبيّن دلالاتها الرامزة في النص، يقول الشاعر في قصيدة (يا قادة النصر):

هل عاد سعد بن وقاص تضلله ... في القادسية أسياف ومران
أم طارق بن زياد تحت رايته ... والبحر من خلفه بالموج غضبان
أم عاد ركب صلاح الدين منتصرا ... وانشق من حوله قبر وأكفان
هنا الرشيد تهادى في مواكبه ... فكاد يسعى له حفل وميدان٢٢

يحمل استدعاء الشخصيات التاريخية في الأبيات السابقة (سعد بن وقاص، طارق بن زياد، صلاح الدين، الرشيد) معاني الفخر والاعتزاز والإعجاب، وتاريخ الأمة المشرق، ودلالات النصر والفتح والبطولة والخلاص والقوة والمجد والظفر، فقد استحضر الشاعر هذه الرموز ليستنهض همم حكام العرب الذين حضروا عيد الثورة اليمنية السادس والعشرين من سبتمبر، ويحمسهم لاستعادة أمجاد آبائهم، ويجسد من خلالها دور ماضي الأمة وتاريخها وأمجادها وانتصاراتها في بناء حاضرها، وبعث روح الأمل والمقاومة،

واسترجاع المجد، وصناعة المستقبل، وإحياء معاني القوة والشجاعة والقدوة في أذهان الجماهير، وإثراء النص بالدلالات والمعاني والجمالية.

يعني استدعاء الرموز التاريخية الوعي برمزيتها، وكل أبعادها التاريخية والاجتماعية، ومؤشراتها الدلالية والجمالية في النص، وهذا ما حاول الشاعر محمد أحمد منصور تجسيده في نصوص قصائده، يقول في قصيدة (الدعوة إلى الوحدة):

فأين قبر "الرشيد" اليوم أنشده ... شعرا يكرم فيها المجد والحسبا
وأين يرقد في "الزوراء" عن كثب ... قبر "الأمين" نحيي ذلك النسبا
من ذا يبلغهم أن العراق غدت ... حصنا منيعا يرد الخطب والنوبا
وأن صارم "سعد" دون قائمه ... نصر يتوج هام الشرق إن ضربا[٢٣]

وردت في الأبيات السابقة مجموعة من الرموز، منها الشخصية كـ(الرشيد، الأمين) ويرمز بهما للملك والسيادة، ونظام الخلافة، وإلى مجد الحضارة الإسلامية وعزها وازدهارها، وإلى ثقافة الحاكم وحبه للأدب، ورمزت شخصية (سعد) للقوة والبطولة والشجاعة والتضحية والنصر، وإلى الفتوحات الإسلامية وانتشارها مشرقا ومغربا، أما رمز (الزوراء) يرمز بها لعاصمة الخلافة بغداد، واستحضار الشاعر لهذه الرموز، يعني الفخر بمجد الأمة، واستنهاض العزائم، والاهتداء بماضي الأمة لتجاوز الحاضر وواقعه، وتحفيز خيال القارئ، وإضفاء السحر والجمال على النص.

من توظيف الشاعر لرموز الشخصيات التاريخية، قوله في قصيدة (الطفل الثائر)، وهي قصيدة أشاد فيها بدور الطفل الفلسطيني الثائر، وصموده أمام أداة القمع الصهيونية:

حملت عليهم بسيف "الوليد" ... وروح "المثنى" وتقوى "عمر"[٢٤]

يدل توالي الرموز الثلاثة في البيت السابق على قدرات الشاعر التعبيرية والتخييلية والشعرية، فـ(لوليد) وهو خالد ابن الوليد، رمز للقوة والنصر والحرب والظفر والشجاعة والاستبسال، و(المثنى) رمز للفتوحات الإسلامية العظيمة، ولزمن قهر الأعداء، وصنع الانتصارات، و(عمر) رمز للعدالة والورع والتقوى والقوة والهيبة والخلافة والمجد، وهذه الرموز شبعت البيت بالمعاني الدلالات، وكسته وشاحا وجمالا.

يستدعي الشاعر شخصية صلاح الدين كثيرا في شعره، ويرمز به للبطل المخلص والمنقذ، يقول في قصيدة (تحية المؤتمر):

لو كان سيف "صلاح الدين" منصلتا ... ما استعمر "المسجد الأقصى" ولا اغتصبا[٢٥]

من التوظيف الرمزي التاريخي استحضار الشاعر للشخصية التاريخية، وسلبها رمزيتها الأصلية، وخلع دلالتها، إلباسها دلالة أخرى، يقول في قصيدة (فرب خصلة شعر حررت بلدا):

رمح "المثنى" غدا في الكف منكسرا وسيف "يعرب" في أجفانه غمدا٢٦

فالمثنى القائد الفاتح المنتصر، صار المهزوم برمحه المنكسر، ويعرب الجد البطل الشجاع المنصلت سيفه، صار المتخاذل المغمود سيفه، ويرمز الشاعر من خلال هذا التوظيف إلى الواقع، إلى حالة الانكسار والضعف والذل والهوان، الذي وصلت إليه الأمة، وإلى تخاذلها وتقاعسها في الدفاع عن مقدراتها ومقدساتها.

يهدف الشاعر من استدعاء الشخصيات التاريخية التمرد على الواقع، والتغلب على الشدائد، وتعويض القيم والأمجاد المفقودة، وبث روح الحماس وإشعال الثورة، وبعث قيم التضحية والجهاد في نفوس الأجيال، من أجل تحرير المقدسات، واستعادة المجد، كما أكسبت النص عمقا دلاليا وتطريزا جماليا، وتناغما إيقاعيا.

استدعى الشاعر مجموعة من الرموز التاريخية لشخصيات سلبية، تركت تاريخا ملطخا بالظلم والطغيان والفساد، كـ (أبرهة، ماركس، لينين، شارون، بوش، إسحاق)، ومن ذلك، استدعاؤه شخصية (شارون) كرمز للعدو الغازي الصهيوني الظالم المتجبر، الذي يقتل ويعذب الشعب الفلسطيني، يقول في قصيدة (اللقاء الأول في المؤتمر الشعبي العام):

بني وطني هذي "فلسطين" ما درت أتشكي اليهود اليوم أم تشتكي العربا
إذا أرسلت من غزو "شارون" آهة فقد مزقت من موقف العرب القلبا٢٧

أكثر الشاعر من استدعاء الرموز التاريخية، التي تتعلق بالمعارك والأحداث، وترتبط بوقائع مهمة في التاريخ الإنساني، أو تمثل مراكز للسلطة والخلافة، كـ(بدر، أُحُد، حنين، حطين، القادسية، جبلة، بغداد، صنعاء، سبأ، السد، شمسان، عيبان، ردفان، حريب، دجلة، الفرات، الرافدين، القدس، فلسطين، حضرموت، زبيد، يثرب، عدن، أيلول، سبتمبر، أكتوبر، السعيدة، زمزم، حريب، البسفور، إسطنبول، يلدز، حنين، الناصرية، خوفو)، ومن نماذج استدعاء الرموز التاريخية المتعلقة بالأماكن التاريخية المتعلقة بالمعارك والأحداث (بدر، أحد)، وقد تردد كثيرا، يقول الشاعر في قصيدة (تحية المؤتمر):

تذكروا "يوم بدر" عندما انتزع ال أسلام بالسيف فيه النصر والغلبا
واستعرضوا الشهداء الغر في أحد وكل من روحه لله قد وهبا
وفي "حنين" خيول النصر راقصة كادت قوائمها أن تضرب السحبا٢٨

يسترفد الشاعر في الأبيات السابقة رموزا لمواقع وأحداث تاريخية في التاريخ الإسلامي، (بدر، أحد، حنين)، ويستحضر من خلالها الصدام والصراع بين الإسلام والكفر، والجهاد والتضحية والفداء لرفع راية الإسلام، والنصر والتمكين والغلبة، ويهدف الشاعر لاستنهاض همم الأمة، وتذكيرها بتضحيات الأسلاف، وحثها على الجهاد لتحرير فلسطين واسترجاع مقدساتها.

من نماذج استدعاء الشاعر للرموز التاريخية قوله في أيام الثورة اليمنية سبتمبر وأكتوبر من قصيدة (تبرجت عدن الشماء سافرة):

حتى التقت ثورتا "سبتمبر" وكذا "أكتوبر" في ذرى ردفان ذي القنن ٢٩

يرمز الشاعر بـ (سبتمبر وأكتوبر) للثورة اليمنية، للتضحية والنصر، للتحرر من الاستبداد والاستعمار، وتوحيد الأمة اليمنية، كما يدل على الفخر والاعتزاز بهذه الأعياد التاريخية التي أعادت لليمن مجده وقوته واستقلاله، ورمز (ردفان) للإشارة إلى المكان الذي انطلقت منه شرارة ثورة أكتوبر.

من الرموز التاريخية المكانية التي عجت بها نصوص القصائد (السد)، فقد ورد كثيرا، ومن ذلك قوله في قصيدة (إلى قلعة العرب):

"بلقيس" أم اليمانين الذين مضوا و"السد" من سالف التاريخ كان أبا
ما جئت و"السد" قد قامت دعائمه مجيء من سبقوا و"السد" قد خربا ٣٠

تكرر السد في البيتين السابقين ثلاث مرات، ويرمز للبناء والحضارة والأصالة وعمق التاريخ والهوية اليمنية، ويفيد تكراره التأكيد على شموخ اليمني وحضارته، وجر بساط الماضي لكساء الواقع العاري، ولفت انتباه اليمني لتاريخ أجداده ومجد أمته، ومن التوظيف الرمزي التاريخي الذي عبر الشاعر من خلاله عن حضارة اليمن وعراقتها وامتدادها التاريخي، قوله في قصيدة (قد أقمنا الحوار):

وطني في ثراك ولد المجـ ـد فأكرم بموطن ووليد
لم يزل ملك حمير ومعين شامخا في قلاعهم والسدود ٣١

فرمز (حمير، معين) للدول والممالك اليمنية القديمة، ولعمق التاريخ والحضارة، واستحضارها من قبل الشاعر للفخر بتاريخ وطنه، والاعتزاز بمجد آبائه، والإشادة بمفاخرهم، يعضد ذلك (ياء المتكلم في وطني، موطن، وليد، ملك، شامخا، قلاعهم، السدود)، وهذه الأنساق تدعّم الرمز وتقويه، وتولد فيه حركة دلالية متنامية.

وظف الشاعر مجموعة من الرموز التاريخية النسوية، التي تركت بصمات إيجابية في ذاكرة التاريخ، وصنعت أمجادا، وخلدت ذكرى طيبة، وقد اختلف توظيف هذه الرموز بحسب سياقات النص، وقد احتلت شخصية (بلقيس) النصيب الأكبر في مساحات النصوص، فقد حضرت في أكثر من عشرة مواضع، تحمل أغلبها معاني الملك والجلال والعز والشموخ والإباء والوحدة والبناء والحضارة، ومن نماذج توظيف رمزية (بلقيس) قوله في قصيدة (ويا عيدنا الغالي):

وكأني أرى "بلقيس" في بهو عرشها وقد لبست للعيد تاجا مذهبا٣٢

يصور الشاعر اليمن وفرحتها في عيد وحدتها، وقيمة حدث الوحدة، كبلقيس ترتدي تاجها المذهب، وتتربع عرش ملكها العظيم، فاستدعاء الشاعر لشخصية بلقيس يرمز للملك والقيادة، والوحدة، والبناء، والحضارة، ويستحضر من خلالها أيام العز والمجد والشموخ.

من الشخصيات النسوية التاريخية (أروى)، فهي رمز للملك والخلافة والقوة والمجد والعدل، يقول في قصيدة (أروى... ونماذج من التاريخ):

تلك أروى خليفة الله في الأر ض ولله در مثلها الخلفاء٣٣

تعد شخصية (ليلى) إحدى الشخصيات النسوية التي استدعاها الشاعر، يقول في قصيدة (يا نجمة العشرين):

أعلمت ليلى بعد طول غيابي من أن طيفك ساكن أهدابي
صليت للوجه الجميل تعبدا وجعلت وجهك للهوى محرابي٣٤

فرمز ليلى يحمل معاني الحب والفتنة والجمال، فهي الطيف الذي أرق الشاعر، وسلبه نومه، وهي قبلته التي يميم إليها فؤاده، وهي الفاتنة التي أسرته بحسنها وجمالها، ويهدف الشاعر من خلال رمز ليلى الإفصاح عن مشاعره الجياشة تجاه محبوبته.

استدعى الشاعر شخصيات نسوية حديثة كـ (حنان عشراوي)، وهي رئيسة وفد المفاوضات الفلسطيني، يقول في قصيدة (فرب خصلة شعر حررت بلدا):

"حنان" كم يحتمي من خلفها نفر ما كان أكثرهم في قومهم عددا
"حنان" لا تعتبي قوما قد انهزموا فرب خصلة شَعر حررت بلدا٣٥

رمزَ الشاعر بشخصية حنان للنضال والمقاومة ضد الاحتلال الصهيوني، فهي صوت الحرية والتحرر، وصوت القضية الفلسطينية، كما عكس من خلالها واقع المجتمع العربي وصمته وتخاذله.

استحضر الشاعر رمز (آمنة) أم الرسول صلى الله عليه وسلم، و(مريم) أم المسيح في قصيدة (القائد.. والجيش.. والميثاق)، يقول:

"أبنـــاء آمنـــة" تصـــافح هـــا هنـــا "أبنـــاء مـــريم" فـــي أعـــز تـــلاق
"عيســى" و"أحمــد" فــي الكتــاب كلاهمــا رســل الهــدى والفضــل والأخــلاق٣٦

وظف الشاعر رمز (أمنة، ومريم) للدلالة على تقارب الأمم والشرائع السماوية الإسلامية واليهودية، يزكي ذلك الأنساق في النص (تصافح، أعز تلاق، الهدى، الفضل، الأخلاق)، فقد حمل الرمزان معاني الحق والهداية والتسامح والتعايش بين الديانتين والثقافتين.

من الرموز الشخصية النسوية السلبية التي استحضرها الشاعر شخصية (سجاح)، يقول في قصيدة (قد أقمنا الحوار):

كـــل مـــن يـــدِّعي ســـواه انتصـــارا –كســـجاح – فـــي كـــذبها المشـــهود٣٧

رمز الشاعر بشخصية (سجاح) للكذب والافتراء والبهتان، وهي ذكرى سيئة تركتها سجاح، فقد صور الشاعر زيف من يدعي غير الأخوة بين الشعبين اليمني والسعودي، ويعد ذلك انتصارا، كادِّعاء سجاح للنبوة، وردتها عن الإسلام، فالرمز يحمل دلالة التمرد والخروج عن الجماعة، وتظليل الناس.

يمثل توظيف الشاعر محمد أحمد منصور للرموز التاريخية العودة إلى التراث، واستدعاء الماضي لإضاءة الحاضر، والرغبة في استرجاع الأمجاد، وتحقق الانتصارات، واستعادة مكانة وحضارة الأمة، فقد تمكن الشاعر من نقل عصارة التراث والتاريخ في صور عصرية، أثرت المعاني والدلالات في النصوص، وولدت الحركية والفاعلية، وأثارت العمليات القرائية والتأويلية، وفجرت الطاقات الخيالية، وأضفت أبعادا إيقاعية وجمالية.

المبحث الرابع: الرمز الأدبي

تعد الشخصيات الأدبية هي الأقرب تأثيرا في نفوس الشعراء، والأقدر استيعابا لتجاربهم، والأنسب تصورا لأبعادهم ومواقفهم، والأكثر حضورا في قصائدهم، و"من الطبيعي أن تكون شخصيات الشعراء من بين الشخصيات الأدبية هي الألصق بنفوس الشعراء ووجدانهم، لأنها هي التي عانت التجربة الشعرية ومارست التعبير عنها، وكانت ضمير عصرها وصوته، الأمر الذي أكسبها قدرة خاصة على التعبير عن تجربة الشاعر في كل عصر"[٣٨].

اتجه الشاعر محمد أحمد منصور إلى استدعاء شخصيات رمزية أدبية، ملأى بالرمزية والدلالة، كـ (امرئ القيس، حسان، بشار، المتنبي، أبي نواس، البحتري، مهيار الديلمي، شوقي)، وقد شحنت هذه الرموز الأدبية نصوصه، ومدتها بطاقات رمزية وإيحائية، وعبر من خلالها عن مواقفه، ونقل عبرها صوره الشعرية، وعقد مقارنة بين المواقف والتجارب في مختلف العصور الأدبية.

من صور استدعاء الشاعر للشخصيات الأدبية، قوله في قصيدة (إلى قلعة العرب):

فأين قيـر "النواسـي" مـن سيرشـدني ... إليـة أنثـر فيـه الشـعر والأدبـا
شـعر مـدى الـدهر مـا حـل المجـون بـه ... يومـا ولا عـاقر الشـهباء أو شـربا
صـوت "امـرئ القـيس" هـدّار علـى كلمـي ... ويسـكن "المتنبـي" اللحـم والعصـبا
"أبـا نـواس" "أميـر الشـعر" إن لنـا ... يـوم "بعمـان" حـاز النصـر والغلبـا ٣٩

ازدحمت في الأبيات السابقة رموز الشخصيات الأدبية، التي تربعت على عرش الشعر العربي، وشكلت مشاعل في ساحته، وقد هدف استدعاؤها من قبل الشاعر إبراز تموقعه بين هذه القامات في فضاء الساحة الشعرية العربية من جهة، وتأثره وإعجابه بها من جهة أخرى، وتمثل شخصيات (النواسي، امرئ القيس، المتنبي، أمير الشعراء شوقي) رموزا للدلالة على الريادة الشعرية العربية، وعومل نهضته وتطوره ونضجه في عصوره المختلفة من الجاهلي والأموي والعباسي حتى الحديث، فلكل شخصية من هذه الشخصيات الأدبية رمزيتها الخاصة، فأبو نواس رمز للشاعر المجدد الذي استبدل الوقوف على الأطلال بالتغني بالخمرة، وهو شاعر الخمر واللذة والسكر، وامرؤ القيس رمز للقيادة والأصالة الشعرية، الشخصية المتعددة الاتجاهات التي افتتن بها أغلب الشعراء، والمتنبي الشخصية المتعددة الجوانب، فهو رمز للطموح والمغامرة والكبرياء والخلق والإبداع الشعري والشهرة والذيوع، وأحد مفاخر الشعر العربي، وأمير الشعراء أحمد شوقي رمز للزعامة الشعرية، وهذه الشخصيات الأدبية مثّلت ضمير وصوت مجتمعها، عبرت عن قضاياه وهمومه، وهذا الأمر أكسبها بعدا رمزيا، ودفع الشاعر إلى استلهام تجاربها وأبعادها الشعرية، يحاورها، ويبادلها تجاربه ونجاحاته، وينشدها أشعاره؛ ليسمو بتجربته، ويرفع مقامه إلى مصاف الشعراء الكبار.

يقترب الشاعر من الصور السابقة، في توظيف الشخصيات الأدبية، في قصيدة (القلم الطائر)، يقول:

أنـا مـن صـاغ شـعره مـن سـنا الـنجم وقـــد اليـــراع مـــن لمعانـــه
جمـــع الســـحر موكبـــا فـــي قوافيـــه وهـــز القـــريض مـــن حسّـــانه
فســـرى تحـــت بنـــده المتنبـــي ومشـــى "البحتـــري" فـــي مهرجانـــه٤٠

يتضح من الأبيات السابقة فخر الشاعر بشعره، فهو الأمير في موكب الشعر، يصنع الشعر من وميض البرق، وينحت كلماته وصوره من لمعانه سحرا يأسر العقول، فتوظيف الشاعر لرمز المتنبي والبحتري، باعتبارهما من رواد الشعر العربي ومن أبرز شخصياته الأدبية شهرة، وهما يمشيان تحت إمرته وبين مواكب جمهوره، يعلي شأن الشاعر، ويقنع جمهوره بتفوقه الشعري، وريادته وإمارته، وسمو تجربته الشعرية، فقد أسقط الشاعر ملامح الرموز الأدبية على تجربته، وجعل من هذه الشخصيات مرايا عكست سموق قصيدته، وعمق تجربته، وبينت أوجه التوافق والتشابه والتناسب بين شعريات الشخصيات الأدبية وشعرية الشاعر، وفعلت دينامية النص وسرّعت دفقاته الشعرية، وأكسبته خصوبة دلالية وجمالية.

المبحث الخامس الرمز الطبيعي والأسطوري

الرمز الطبيعي

شكلت الطبيعة بعناصرها وصورها الصائتة والصامتة بيئة شعرية خصبة؛ نظرا لما تكتنزه رموزها من حركية وحيوية ودينامية وجمالية، تمنح الشاعر مساحة في استبطان مواقفه الحياتية، وكشف إدراكه لعالمه المحيط به، وإبراز رؤياه، وإثراء تجربته، وتشكيل لوحاته الشعرية، وصبغها بالجمال، وإشباعها بالدلالة.

استخدم الشاعر الرموز الطبيعية كثيرا في قصائده، فحول لغة بعض القصائد إلى رموز وإشارات، ومن أهم الرموز الطبيعية التي وظفها، (الشمس، القمر، السحاب، النجوم، الصباح، الصحراء، الرياح، الرعد، الورد، الأزهار، النخل، التفاح، الغصن، الجداول، الخمائل، الغدير، البحر، السفوح، الطير، الأسد، الصقر، العقبان)، ومن نماذج توظيف الرموز الطبيعية قوله في قصيدة (من وحي الربيع):

قـــم تشـــهد "العنســـين" يـــوم زفافهـــا تـــتقمص الأزهـــار فـــي أفواههـــا
عقـــد الربيـــع بهـــا قـــران ســـعوده فتمايلـــت طربـــا علـــى أعطافهـــا
أمـــر الســـحاب تصـــب فـــوق تلالهـــا وأراق مـــاء الـــورد فـــي أطرافهـــا
والجـــدول الرقـــراق فـــي عرصـــاتها أنشـــودة تاهـــت علـــى غزافهـــا
والطيـــر غـــاد فـــي الخمائـــل رائـــح أهاتـــه فـــي الـــدمع فـــوق مطافهـــا
فتـــرى النجـــوم وقـــد دنـــت مـــن أفقهـــا تتنشـــق النســـمات فـــي آنافهـــا٤١

يتلمس الشاعر جمال الطبيعة في مسقط رأسه منطقة العنسين في اليمن، ويعرضها في لوحات أخاذة، طرزتها أنساق الرموز الطبيعية، فـ(لأزهار والورد) رمز للجمال والذبول والحب والشوق والعطر، و(الربيع) عروس الطبيعة رمز للخصوبة والحياة والجمال والفتنة والبعث والتجدد والحيوية وولادة الأمل، و(السحاب) رمز للخير والصفاء والنقاء والعطاء والأنس والحبور، و(الجداول) رمز للحركة والحيوية والخصوبة والتجدد والجمال، و(التلال) رمز للقوة والرفعة والشموخ، و(الطير) رمز للشوق والحنين والحياة والجمال، والنجم) رمز للسمو والعلو والنور والضياء، تمكن الشاعر من رصف الرموز الطبيعة المعبرة عن المناظر الخلابة في تصوير بديع، وأصبغ عليها تجاربه الذاتية، وعبر عن شوقه لمسقط رأسه، وفيض حبه لها، ويصف مشاعر الفرح والسعادة فيها، فهي في ربيعها كالعروسة في زفافها، وجمال منظر الربيع كالزينة والحلي فوق العروسة، وتمايل الأزهار والورود وشذى طيبها، كرقص العروسة وفوح عطرها، ثم يصور جمال تساقط المطر على سفوح التلال، وصوت جريان الأنهار كالأنشودة التائهة، ورحلة الطير ذهابا وإيابا وشوقها الدائم لموطنها، ويصور تفتح الورود وبياضها الموزع في الخمائل كضوء النجوم في السماء، وهذه المناظر تبعث في النفس البهجة والفرح والسرور، وتشعره بالسعادة، توفق الشاعر في تشكيل رموز الطبيعة لوحات شعرية، تشع بالجمالية، وتتموج بالدلالات، وتتفيأ بالمعاني، ما أكسب نصوصه الخصوصية والتفرد والجمال.

الرمز الأسطوري

إن الأسطورة نظام رمزي، يستحضره الشعراء، في رسم صورهم الشعرية، وهي "شكل فني أخاذ يستأثر بفكر المتلقي وقلبه ويستثر خياله"[٤٢]، إنها تعبير عن الوجود والواقع، له دلالاته العميقة، وهي "حكاية مقدسة ذات مضمون عميق يشف عن معان ذات صلة بالكون والوجود وحياة الناس"[٤٣]، سعى الشاعر محمد أحمد منصور أن يجسد من خلال الرمز مواقفه، ويفرغ شحناته، ويطرح مواقفه، ويمزج بين الحلم والواقع، ويضافر الماضي بالحاضر، ويهرب من الواقع التعيس إلى رحابة الماضي المغمور بالقوة والمجد والقداسة، فقد وظف الرمز الأسطوري في نصوص قصائده، باعتبار الأسطورة معطى تراثيا غنيا بالقيم والمعاني التعبيرية والفنية التي تساهم في بناء التجربة الشعرية،

يسهم الرمز الأسطوري بتحويل القصيدة من التعبير المباشر إلى التعبير الرمزي، وتضبيب الصورة الشعرية، وغمرها بالإيحاءات، وهذا ما يفتح النص على القراءات المتعددة والتأويلات الواسعة، ويمده بطاقات فنية ودلالية وجمالية.

من الرموز الأسطورية التي استدعاها الشاعر محمد أحمد منصور (بلقيس، ذي يزن، صقر قريش، بابل)، يقول في شخصية (سيف بن ذي يزن) من قصيدة (العيد في ظل الوحدة):

"نقـــم" يـــا أبـــا الجبـــال الرواســـي يـــــا نبيـــــا مـــــدثرا مزمـــــولا
صـف لنـا اليـوم سـيف ذي يـزن الفـا تـــح والقائـــد العظـــيم الجلـــيلا٤٤

تحمل شخصية سيف بن ذي يزن بعدا تاريخيا أسطوريا، وتدل على معاني المغامرة، والبطولة والتحدي، والعزم، والمقاومة، والثبات، والنصر، والخلاص، ويطلب الشاعر في البيتين السابقين من جبل نقم أن يحكي له قصة سيف بن ذي يزن البطل المغامر الذي حرر اليمن من عزو الأحباش، فهو رمز للحرية والشجاعة والشموخ والمجد والحضارة المترسخة في ضمير الشعب اليمني، ويشير توظيف شخصية سيف بن ذي يزن إلى إثبات الذات والهوية اليمنية، وبعث الأمل في نفوس اليمنيين، وإحياء مجد اليمن والإشادة بحضارته.

يحضر رمز بابل كأحد الرموز الأسطورية التي أوردها الشاعر في قصيدة (المساجلة الشعرية)، يقول:

أرســـل الشـــعر صـــادحا كالبلابـــل واغتـــرف بـــاليراع مـــن ســـحر بابـــل٤٥

فرمز بابل يحمل حزمة من الدلالات، فهو رمز للعراق، والحضارة، والتاريخ، والسحر، والعراقة، والطقوس، وبابل مدينة المفارقات، ومسرح لأهم أحداث التاريخ، فالشعر في نظر الشاعر له صوت شجي يطرب النفوس كصوت البلابل، ولها أثر يسحر الألباب، مستحضرا بابل وأسطورتها في السحر.

ومن الرموز التراثية الشعبية التي وظفها الشاعر (المداعة، البوري)، ورمز بهما للمقيل والسمر في المجتمع اليمني، كما وظف مجموعة من الرموز العلمية الحديثة، (البترول، رادار، صارخ، قنبلة، مدفع، الميج)، وأغلبها رموز تشير إلى وسائل الحرب الحديثة، استحضرها الشاعر في حديثه عن القضية الفلسطينية، ليؤكد حق الدفاع المشروع بكل الوسائل والأساليب.

خاتمة

كشفت دراسة الرموز بأنواعها المختلفة في قصائد الشاعر دور الأنساق الرمزية في تشكيل النصوص، وتعميق معانيها، ورسم لوحاتها الفنية، فقد استطاع الشاعر محمد أحمد منصور أن يرسم بريشة الرمز لوحات فنية أخاذة، تشي بالجمالية، وتمور بالإيحاءات، وتنشطر بالمعاني، وتتشظى بالدلالة، فتطريز جسد القصيدة بالرموز، كساها رونقا وجمالا، وعمقا ودلالة وإيحاء، وحول لحظة الكشف في القصيدة من لحظة آنية إلى لحظة خالدة ومتمددة، من الماضي إلى الحاضر والمستقبل.

شكلت الرموز بأنواعها التاريخية والتراثية والأسطورية والطبيعية والدينية والصناعية بنيات فنية في قصائد الشاعر محمد أحمد منصور، أكسبت النصوص أبعادا فنية ودلالية وجمالية، وعملت على تحريك النص، وتوتير فعاليته، وإثارة المتلقي، وتوسيع خياله.

إن استلهام الشاعر رموزه من مختلف الثقافات والفلسفات ربط التراث بالواقع، والماضي بالحاضر، وجعل اللغة الشعرية لغة مشرقة إشارية شفافة إيحائية عميقة.

حملت الرموز في النصوص أبعادا دينية واجتماعية وسياسية وفكرية، وكشفت عمق تجربة الشاعر الشعرية والشعورية، وعكست قدراته اللغوية والأسلوبية والفنية، وواسعية ثقافته، ونضج فكره.

الهوامش

[١] - سامي عزيز، وهاب قارة، تجليات الرمز اللغوي في الخطاب الشعري العربي: قصائد مختارة عن الثورة الجزائرية، مجلة الكلم، الجزائر، مج٥، ع٢، ٢٠٠٢، ص٢١٨.

[٢] - عزة ملا إبراهيمي ومحمد سالمي وصديقة تاج الدين، الرمز وتطوره الدلالي في الشعر الفلسطيني المقاوم، مجلة قسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، ع٢٤، ٢٠١٧، ص١٢٧.

٣ - ريم محمد طيب الحفوظي، الرمز الشعري في قصيدة بابل لبشرى البستاني: قراءة في التشكل والدلالة، مجلة تكريت للعلوم الإنسانية، مج١٤، ع ٢، ٢٠٠٧، ص٩٠.

[٤] - جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الوالي، ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٨٦، ص٣٣.

[٥] - محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعرف، مصر، د. ط، ١٩٧٧، ص٤٠.

[٦] - المرجع نفسه، ص١١٥.

[٧] - عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ودار الكندي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧٨، ص١١٦.

[٨] - بلال موسى بلال العلي، قصيدة الرمز الديني: دراسة حول الرموز الدينية ودلالاتها في الشرق الأدنى القديم والمسيحية والإسلام وما قبله، د. ط، ٢٠١٢، ص٣٥.

[٩] - محمد أحمد منصور، الأعمال الشعرية الكاملة، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٠، ص٣٤٩.

[١٠] - المصدر نفسه، ص٨٢.

[١١] - المصدر نفسه، ص ٣٥٦.

[١٢] - المصدر نفسه، ص٤٤٦.

[١٣] - المصدر نفسه، ص١٧٧.

[١٤] - المصدر نفسه، ص١٤٠.

[١٥] - المصدر نفسه، ص٣٥٣.

[١٦] - المصدر نفسه، ص٤١٦.

[١٧] - المصدر نفسه، ص٥٩، ٦٠.

[١٨] - المصدر نفسه، ص ٣٥٦.

[١٩] - المصدر نفسه، ص١٤٠.

[٢٠] - إبراهيم نمر موسى، توظيف الشخصيات التاريخية في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع٢، مج٣٣، ٢٠٠٤، ص١١٧.

[٢١] - علي عشيري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د. ط، ١٩٩٧، ص١٦.

[٢٢] - محمد أحمد منصور، الأعمال الشعرية الكاملة، مصدر سابق، ص٤١١،٤١٢.

[٢٣] - المصدر نفسه، ص٩١.

[٢٤] - المصدر نفسه، ص٢٢٩.

[٢٥] - المصدر نفسه، ص١٢١.

[٢٦] - المصدر نفسه، ص١٨٦.

[٢٧] - المصدر نفسه، ص١٠٦.

[٢٨] - المصدر نفسه، ص١٢١.

[٢٩] - المصدر نفسه، ص٤٠٧.

[٣٠] - المصدر نفسه، ص٨٩.

[٣١] - المصدر نفسه، ص١٧٧.

[٣٢] - المصدر نفسه، ص١٠٩.

[٣٣] - المصدر نفسه، ص٨٤.

[٣٤] - المصدر نفسه، ص١٢٤.

[٣٥] - المصدر نفسه، ص١٨٦.

[٣٦] - المصدر نفسه، ص٣٠٨.

[٣٧] - المصدر نفسه، ص١٧٤.

[٣٨] - علي عشيري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص١٣٨.

[٣٩] - محمد أحمد منصور، الأعمال الشعرية الكاملة، مصدر سابق، ص٩٠.

[٤٠] - المصدر نفسه، ص٣٩٥.

[٤١] - المصدر نفسه، ص٤٢٧، ٤٢٨.

٤٢ - صبري مسلم، الترميز الأسطوري في الفن القصصي المعاصر، مجلة تكريت للعلوم الإنسانية، مج١٦، ع١١، ٢٠٠٩، ص١٨٦.

[٤٣] - فراس السّواح، الأسطورة والمعنى: دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، درار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط٢، ٢٠٠١، ص١٤.

[٤٤] - محمد أحمد منصور، الأعمال الشعرية الكاملة، مصدر سابق، ص٣٣٦.

[٤٥] - المصدر نفسه، ص٥١٩.

Sources and references

1) Ali Ashri Zayed, Evoking the Heritage Personalities in Contemporary Arab Poetry, Dar Al Fikr Al Arabi, Cairo, Egypt, without edition, 1997.
2) Atef Gouda Nasr, The Poetic Symbol of Sufism, Dar Al-Andalus for Printing, Publishing and Distribution, and Dar Al-Kindi for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, first edition, 1978.
3) Azza al-Mulla al-Ibrahimi, Muhammad Salmi and Siddiq Taj al-Din, The Symbol and Its Semantic Development in Palestinian Resistance Poetry, Qasim al-Arabi Journal, University of Punjab, Lahore, Pakistan, Volume 24, 2017.
4) Bilal Musa, Bilal Al-Ali, The Poem of Religious Symbol: A Study of Religious Symbols and Their Connotations in the Ancient Near East, Christianity, Islam and Before, Uned, 2012.
5) Firas Al-Sawah, Myth and Meaning: Studies in Eastern Mythology and Religions, Dar Alaa Al-Din, Damascus, Syria, second edition, 2001.
6) Ibrahim Nimr Musa, Employment of Historical Figures in Contemporary Palestinian Poetry, World of Thought Magazine, Kuwait, Number Two, Volume 33, 2004.
7) Jean Cohen, The Structure of Poetic Language, translated by: Mohamed Al-Wali, and Mohamed Al-Omari, Dar Toubkal, Casablanca, Morocco, first edition, 1986.

8) Muhammad Ahmed Mansour, The Complete Poetic Works, Dar Al-Amin for Publishing and Distribution, Cairo, Egypt, first edition, 2000.
9) Muhammad Fattouh Ahmed, Symbol and Symbolism in Contemporary Poetry, Dar Al Maaref, Cairo, Egypt without edition, 1977.
10) Reem Muhammed Tayyib Al-Hafezi, The Poetic Symbol in the Poem of Babel Bushra Al-Bustani: A Reading in Form and Meaning, Tikrit Journal for Human Sciences, Vol. 14, No. 2, 2007.
11) Sabri Muslim, Legendary Symbolization in Contemporary Narrative Art, Tikrit Journal for Human Sciences, Vol. 16, No. 11, 2009.
12) Sami Aziz and Wahhab Qurra, The manifestations of the linguistic symbol in the Arabic poetic discourse: Selected poems about the Algerian revolution, Al-Kalam magazine, Algeria, Volume Five, Number Two, 2002.